المخطوطات العربيّة في شبه القارّة الهنديّة

دائرة المعارف الهندية

من الانصاف والمروءة ان نعترف بما كان للعبقرية الهندية الفائقة من الفضل الكبير على نمو الحضارة العربية وتقدمها في جاهليتها واسلامها فكان لعقول النبغة الهنود ولجهود علمائهم الجبارة ومبتكرات اساطينهم في شتى الفنون والمعارف والفلسفة والتأثير العظيم على توسع آفاق العلوم والحكمة العربية وسائر الفنون الاسلامية حيث تعلم العرب من الهنود كثيرا من المعارف الهندية الجليلة ، كالنظام العشري في الترقيم فساروا فيه على أساس القيم الوضعية ، وكان هذا من اهم ماعرفه العالم ، والى هذا النظام يعزو العلماء بروزهم في الحساب والجبر وبراعتهم فيها ، وكذلك الرموز في الحساب والجبر والاشكال المتعددة للاعداد والمعادلات الشيالة (او غير المعينة) واستعملوا طرقا مبتكرة في حلها واعتمد العرب على هذه الحلول في بدء نهضتهم كما اعتمد عليها علماء أوربا في عصر الاحياء .. الى غير ذلك من المبتكرات .

وفي الهندسة عرف الهنود مايتعلق بانشاء المربعات والمستطيلات والعلاقات بين الاقطار والاضلاع والاشكال المتكافئة ، ومن المسائل التي وردت في مؤلفاتهم انشاء مربع يساوي النظرية العلمية الغربية فيالهندسة والمثلثات وعلم الفلك والنجوم والطبيعيات والكيمياء والطب والفلسفة والمنطق والالهيات والعقائد والتصوف والادب وما يتبعه من فنون مما يخرج عن نطاق هذا المجال .

وقد تجددت الصلة العلمية بالهند في عهد البرامكة وزراء الرشيد العباسي ، تلك الصلة التي يرجع أساسها الى الفترة التي عرف بها العرب الهند قبل الاسلام بألفي سنة ، فلقد كان بعض أجداد البرامكة من سدنة بين النوبهار ببلخ، والنوبهار ـ على ما يحدثنا به المستشرق ادوارد ساخو ـ معبد بوذي ، فلما انتقلت الخلافة الى الاسرة العباسية غني هؤلاء البرامكة بأستقدام العارفين باللغة السنسكريتية واستخدامهم في نقل كتب هندية عديدة في الفلسفة والفلك والطب والصيدلة والرياضيات ، وتركت الفلسفة الهندية أثرا ملحوظا في أدب المتصوفة العربي .

وكان اهتمام المؤرخين والمصنفين والرحالين والعرب بالهند عظيما ، فدونوا من شؤونها وفنونها الشيء الكثير ، وقد بزّهم جميعا في هذا الباب أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٩٧٣ـ١٠٤٨ م) الفيلسوف المؤرخ الفلكي الطبيب الذي أقام في الهند زمنا فجاز أنحاءها وتبحر في علومها ، ثم ألف كتابه الشامل (تأريخ الهند) الذي استقصى فيه ما يتصل بها من دين وفلسفة وأدب وجغرافية وفلك وتأريخ وعادات وطبائع .

ولقد نفذت الثقافة العربية الى الهند بدخول الاسلام ، فأصبحت اللغة العربية الى جانب اللغتين الفارسية والاردية ، لغة العلم والادب في الاقاليم الاسلامية .

وبرز كثير من العلماء الهنود ، فوضعوا التصانيف في التفسير والحديث والفقه والنحو والبلاغة واستمرت حركة الكتابة والتأليف باللغة العربية مزدهرة طيلة ثمانية قرون متواصلة ، ولهذا فلا نستغرب أن نجد اليوم في الهند اكثر المكتبات الكبرى تضم المئات من المخطوطات العربية الموزعة في شتى انحاء الاقاليم والمحافظات وتوابعها ، وان الكثير من هذه المخطوطات نادرة وذات قيمة فنية عالية .

ونستعرض فيما يلي بعض اسماء خزائن الكتب المليئة بالتراث العربي في انحاء الهند .

١ ـ مكتبة المخطوطات الشرقية في اجين UJJAIN .

٢ ـ مكتبة كجرات فديا سبحا Gujarat Vidya Sabha ، في احمد آباد AHMADABAD بولاية كجرات .

٣ ـ مكتبة بير محمد شاه في احمد آباد ايضا .

٤ ـ مكتبة متحف الله آباد ALLAHABAD .

٥ ـ مكتبة المتحف الحكومي في الوار ALWAR .

٦ ـ مكتبة اوج (بهاول بور) (Bahawalpur). UCH

٧ ـ مكتبة بنجسكي Panchakki Library في أورنك آباد AURANGABAD .

٨ ـ المكتبة الشرقية في بتنا ، وتسمى ايضا ـ مكتبة خدابخش ـ وهو مؤرخ هندي ـ كان قد وقفها في مدينة بتنا PATNA وتعتبر من اهم المكتبات في الهند .

٩ ـ مكتبة سراسفاتي بهاندر Sarasvati Bhandar Library في مدينة اوديور UDAIPUR .

١٠ ـ مكتبة مسجد جامع Jam'e masjid Library في بومباي BOMBAY ، فيها ما يقرب من سبعمائة مخطوط عربي وقد أعددت فهرسا شاملا لكل هذه المخطوطات يصدر قريبا من دائرة المعارف الهندية في بومباي ، وفي هذه المكتبة بعض الكتب النادرة والثمينة .

١١ ـ مكتبة معهد كاما الشرقي K. R. cama Oriental Institute فيه ما يقرب من ثمانين مخطوطة عربية ، عملت لها فهرسا وصفيا نشر في مجلتنا (الموسم) العدد ٢ـ٣ (١٩٨٩) ص ٣٩٧ ـ ٤١٨ .

١٢ ـ مكتبة جامعة بومباي ، فيها مخطوطات عربية قليلة غير أن مجموعة مكتبة فيضي التي أضيفت فيما بعد فيها الكثير من المخطوطات العربية ، اذكر انني سجلت من نوادرها كتاب مقتل الحسين وكتباً أخرى تخص الطائفة الاسماعيلية في الهند .

١٣ ـ مكتبة الجمعية الاسيوية الملكية Royal Asiatic Society في بومباي ، هذه المكتبة ومكتبة متحف الحكومة في بومباي ايضا تحتوي على مخطوطات قليلة وفي المكتبة الاخيرة مجموعة من اللوحات الفنية التي تعبر عن حياة العرب وصلاتهم بالهند ، وهناك الخطوط العربية التي تزين بعض نوادر التحف والسيوف التي يعتز بها هذا المتحف .

١٤ ـ مكتبة معهد بحوث كلية الدكن Deccan College Research Institute في بونا POONA فيه مخطوطات قليلة .

١٥ ـ مكتبة الجامعة العثمانية Osmaniia University في حيدرآباد HYDERABAD . فيها أكثر من ألف مخطوط عربي وفي هذه الجامعة كرسي للغة العربية يمنح الشهادات العليا ويهتم بالدراسات العربية المختلفة .

١٦ ـ المكتبة الآصفية Asafiyyah Library في حيدر آباد وقد اهتمت بها الحكومة وأودعت محتوياتها الخطية العربية في بناء خاص ، أسست المكتبة عام ١٨٩٠ ولها فهارس مطبوعة بالاردية والانجليزية .

١٧ ـ المكتبة السعيدية في حيدر آباد ، مكتبة مهمة فيها نوادر الكتب تقع في محلة (جام بازار) وسط المدينة المزدحمة ، ولها فهرس جاء فيه ذكر بعض نفائسها غير أن حالتها بحاجة عاجلة للصيانة والانقاذ .

١٨ ـ مكتبة متحف سالارجنك في حيدر آباد Salar jung National Musenmand - Library ، مكتبة تضم الكثير من الكتب العربية الثمينة التي ترتقي الى عهود متقدمة ولها فهارس مطبوعة وفي حيدر آباد ثروة هائلة من المخطوطات لا نستطيع استقصاء أسماء المكتبات التي تضمها في هذه العجالة ، مثل مكتبة قسم تأريخ الطب بكلية الطب العثمانية ، ومكتبة ادارة أدبيات الاردو ودار وثائق الدولة ، ومكتبة كلية الطب اليوناني ومكتبات الجامعات والمدارس الدينية الكثيرة الاخرى .

١٩ ـ مكتبة المعهد الهندي للدراسات الاسلامية بدلهي .

٢٠ ـ المكتبة النظيرية العامة في دلهي .

٢١ ـ مكتبة دار العلوم ، في ديوبند Deoband .

٢٢ ـ مكتبة الرضا في رامبور RAMPUR .

٢٣ ـ مكتبة جامعة عليكرة ALIGARH من المكتبات المهمة ولها فهارس عديدة مطبوعة ، بالانجليزية والاردية .

٢٤ ـ مكتبة الجمعية الآسيوية Asiatic Society في كلكتا CALCUTTA .

٢٥ ـ مكتبة مدرسة كلكتا CALCUTTA Madrasah .

٢٦ ـ المكتبة الناصرية في لكنو LUCKNOW من المكتبات الحاوية لمئات الكتب العربية المخطوطة ، أسسها المرحوم ناصر حسين العبقاني المؤرخ والمحدث المشهور في عصره المتوفي سنة ١٣٠٦ .

٢٧ ـ مكتبة جامعة لكنو LUCKNOW UNIVERSITY LIBRARY .

٢٨ ـ مكتبة المدرسة الناظمية في لكنو .

٢٩ ـ مكتبة مدرسة سلطان المدارس في لكنو .

٣٠ ـ مكتبة ندوة العلماء في لكنو .

٣١ ـ مكتبة سلطان ميسور في ميسور Sultan Mysore Library .

٣٢ ـ مكتبة بانكي بور في عظيم آباد بولاية بيهار .

٣٣ ـ مكتبة ذاكر حسين في الجامعة الملية الاسلامية في نيودلهي .

٣٤ ـ مكتبة دستور مهرجارانا الاول FIRST DASTUR MEHERJE RANA LIBRARY في نفساري NAVSARI .

٣٥ ـ مكتبة الحكومة للمخطوطات الشرقية في مدراس GOVERNENT ORIENTAL MANUSCRIPTS LIBRARY, MADRAS.

٣٦ ـ مكتبة معهد الابحاث العربية والفارسية في تونك Tonk راجستان Rajasthan .

وهذا عدد قليل من المكتبات التي استعرضناها في كتابنا (معجم الهند) الذي هو دليل القارىء العربي ومرشده بل مفتاح هام للدارس والباحث العربي عن الهند وكل ما يمت اليها بصلة .

وانما ذكرنا ذلك على سبيل الاستشهاد لما بذله اخواننا الهنود في الحفاظ على تراث العرب في خزائن كتبهم المشيدة وما صرفوه من الاموال الطائلة للحصول عليها وصيانتها والاستفادة منها ، ولا ريب أن الكثير من علماء الهنود وادبائهم اهتموا بمعالجة التأليف باللغة العربية ، وقد ذاعت مؤلفاتهم في الوطن العربي ، ثم قاموا بانشاء دور الطباعة العربية ، منذ ظهور الطباعة وقد أحيت دور الطباعة الهندية ، عددا غير قليل من نفائس الكتب العربية من الاصول القديمة في مختلف فروع العلوم والفنون،وكانت لها عناية خاصة بنشر مؤلفات اعلام المسلمين ، في الفقه ، والحديث ، واللغة ، والتفسير ، والتأريخ ، وغير ذلك ، وأشهر مدن الهند التي عنيت بنشر مؤلفات العرب والمسلمين لكنو ، وكلكتا ، وبومباي ، ودلهي ، وحيدر آباد وغيرها من المدن الهندية ، وقد طبعت اكثر الكتب الجامعة للحديث وكتب الصحاح ، وعدة كتب للزمخشري ، والسيوطي والبيروني والرازي والسمعاني وابن حجر والذهبي وكتب الواقدي والازدي البصري في الفتوح والمغازي وبعض مؤلفات العلامتين نصير الدين الطوسي وبهاء الدين العاملي رحمهما الله ، ودواوين أشهر شعراء العرب ــ بعد الاسلام ــ ومنها ديوان المتنبي، وأبو تمام والشريف الرضي ، وأبو العلاء المعري وغير ذلك،وتمكنت الهند من السبق في طبع تلك المؤلفات لتوفر مكتباتها على النسخ المخطوطة الصحيحة والنفيسة المضبوطة فجاءت مطبوعاتها غاية في الاتقان في ذلك الزمان مما كان يفتقر اليه الوطن العربي ، لذلك اشتهر مطبوعات الهند من التراث العربي وخاصة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد التي بلغت مطبوعاتها ١٥١ كتابا عربيا في ٤٦٤ مجلدا .

وكنموذج من المخطوطات العربية التي تزخر بها مكتبات الهند هذه جمهرة من المخطوطات التي وقفنا عليهافيمكتبة متحف سالار جنكالوطني:

١ ـ تهافت الفلاسفة ، لابي حامد الغزالي المتوفي ٥٠٥ هـ نسخة كتبت سنة ٥٠٧ هـ (بعد وفاة المؤلف بسنتين) .

٢ ـ شرح مختصر في الجبر والمقابلة (المختصر للخوارزمي)، الشارح ابو بكر بن محمد اليفرشي ، نسخة من القرن الحادي عشر الهجري ، فيها رسوم واشكال هندسية .

٣ ـ خواص الحشائش ومنافع الحيوان ، المنسوب الى جالينوس ، نسخة نفيسة كتبت سنة ٦٢٩ هـ ومحلاة بصور ملونة ودقيقة وهي معروضة في خزانة زجاجية .

٤ ـ بلغة الطبيب ونزهة الاريب : لبدر الدين محمد بن القاسم الجزري نسخة كتبت سنة ٦٨١ هـ ، وهي معروضة في خزانة زجاجية .

٥ ـ تحرير أصول اقليدس ، لنصير الدين الطوسي المتوفي ٦٧٢ هـ ، نسخة كتبت سنة ٧٤٣ هـ ، فيها اشكال هندسية،وهذه النسخةمعروضة في خزانة زجاجية ، وبهذا المتحف اكثر من مخطوطة معروضة في خزائن زجاجية كتبت اواخر القرن السابع الهجري بخط ياقوت المستعصمي المتوفى ٦٨٩ هـ .

